الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

لما أنهى المصنف رحمه الله ما أراد ارادهُ من الأذكار المتعلقة بالنوم والتيُ يستحب للمسلم أن يقولها إذا آوى إلى فراشه لينام؛ انتقل بعد ذلك لذكر ما ورد عن النبي ﷺ فيما يقوله من استيقظ من نومه ما الذي يشرع له أن يقوله.

(المتن)

فصل: فيما يقوله المستيقظ من نومه ليلاً.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العلي العظيم، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».خرجه البخاري.

(الشرح)

ثم عقد المصنف رحمه الله هذا الفصل، قال: فصل: فيما يقوله المستيقظ من نومه ليلاً.

الاستيقاظ من النوم ليلاً عادةً يكون عن طول نوم، بخلاف النوم الذي يكون في النهار فإنه لفترة محدودة، أما نوم الليل فإنه في الغالب يطول، ولهذا خُصّ بالذكر؛ لأنه مع طول النوم والاستغراق فيه والانقطاع عن الذكر؛ انتباه الإنسان من هذا النوم الطويل عائداً مباشرةً لذكر الله تبارك وتعالى؛ هذا من أمارات الخير في الإنسان، ودلالة ملازمته الشديدة لذكر الله تبارك وتعالى؛ لأن نومه وإن طال لا يفصله عن الذكر فبمجرد أن يقوم من نومه يعود إلى ذكر الله تبارك وتعالى مباشرة، ومثل هذه الخصلة العودة إلى ذكر الله تبارك وتعالى عند القومة من النوم مباشرة؛ لا تتهيأ لكل أحد، وإنما تتهيأ لمن كان ملازماً لذكر الله تبارك وتعالى، لانت نفسه بالذكر، واستدامهُ، واعتادهُ، وألفه، واطمأنت نفسه به، وأصبح مألوفاً معتاداً عنده، فإذا كان بهذه الصفة، فإنه يتهيأ له حين إذن عند قومته مباشرة من نومه، أن يرجع إلى ذكر الله تبارك وتعالى، وأن يعود إلى ذكر الله تبارك وتعالى؛ لأن ذكر الله هو غاية مقصودة ينام عليه ويقوم عليه، ذاكراً لله تبارك وتعالى عند نومه وعند يقظته.

قال: فصل: فيما يقوله المستيقظ من نومه ليلا.

أورد حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**» أي: من أستيقظ من نوم الليل، هذا معنى «**مَن تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**» أي: من استيقظ من نوم الليل، كان نائما فاستيقظ، قام من نومه، «**فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العظيم، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**».

اجتمعت هنا خيرات عظيمة، وأعمالٌ مباركة، وأذكار نافعة في هذا الذي أرشد إليه ووجه إليه النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث، حديث عبادة بن الصامت لمن استيقظ ليلاً، حيث أرشده النبي عليه الصلاة والسلام إلى أمور عدة يقوم بها على الترتيب كما جاءت في الحديث، فيبدأ أولاً بالتهليل قائلًا: « **لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ**

شيءٍ قَدِيرٌ » يبدأ بهذه الكلمة، كلمة التوحيد «**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» مع التأكيد على معناها بقوله: «**وحده لا شريك له**» مع ذكره براهينها ودلائلها في قوله: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

و«**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» هي كلمة التوحيد التي عليها قيام الدين، ولا توحيد إلا بما دلّت عليه هذه الكلمة، وهي قائمة على رُكنين؛ نفي وإثبات، نفي عام في أولها، وإثبات خاص في آخرها، نفيٌ للعبودية عن كل من سوى الله، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده، هذا هو التوحيد، أن تنفي العبودية عن كل من سوى الله، كل من سوى الله لا يستحق من العبادة أي شيء، لا الملائكة، ولا الأنبياء ولا الأولياء، فضلاً عن غيرهم، العبادة حقّ لله، «**لا إِلَهَ**» هذا نفي للعبودية على كل من سوى الله، «**إِلَّا اللَّهُ**» إثبات العبادة بكل معانيها لله وحده، فهو الذي عزّ وجلّ يُفرد بالطاعة، ويُخصّ بالعبادة، وتُصرف له بجميع أنواعها دون سواه، وقوله: «**وحده لا شريك له**» فيه تأكيد لمعنى «**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» ومدلولها، وعرفنا أن «**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» قامت على ركنين؛ النفي والإثبات، فأكدهما بقوله: «**وحده لا شريك له**» فإن قوله: «**وحده**» فيه تأكيد للإثبات وقوله: «**لا شريك له**» فيه تأكيد للنفي، ثم لما أتى بكلمة التوحيد وما يؤكدها؛ أتبعها ببرهانها ودليلها فقال: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» أي: من له الملك كله، والمستحق للحمد كله، ومن هو«**على كل شيء قدير**» هو الذي لا إله إلا هو، ولا معبوداً بحق سواه، ولا يُصرف شيء من العبادة إلا له سبحانه وتعالى.

فإذن أول ما يبدأ به المستيقظ من نومه أن يُهلّل بهذا التهليل المبارك الذي هو أفضل ما قاله إنسان، كما قال: عليه الصلاة والسلام: «**أفضل ما قلت أنا والنبيُّونَ مِن قبلي: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، له المُلك وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قدير**» أفضل كلمة قالها نبي هي هذه الكلمة، وهي أفضل الكلمات على الإطلاق فيبدأ بهذا التهليل؛ هذا أولاً.

ثانيا: يُتبعه بالكلمات الأربع؛ التي هي أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى فيقول: «**الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر**» بعد أن يأتي بالتهليل، يأتي بهؤلاء الكلمات الأربع: «**الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: « **أحبّ الكَلام إلى الله أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر**» وجاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: « **لا نقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس**»، يعني: أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

و(**الحمد لله**)؛ فيها الثناء على الله وإثبات الكمال له سبحانه وتعالى.

و(**سبحان الله**)؛ فيه تنزيه الله عن النقائص، وعما لا يليق به عزّ وجلّ.

و(**لا إله إلا الله**)؛ فيها توحيد الله وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك.

و(**الله أكبر**)؛ فيها تعظيم الله، واعتقاد أنه لا أكبر منه سبحانه وتعالى.

فإذا أتى بهذه الكلمات الأربع، يأتي بالأمر الثالث؛ وهو كلمة الحوقلة: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» ومعنى «**لا حول ولا قوة إلا بالله** » أي: لا تحوّل من حال إلى حال، ولا حصول قوة للعبد يمارس بها أعماله ويقوم بمصالحه إلا بالله تبارك وتعالى، إلا بمدّه وعونه وتوفيقه؛ هذا معنى «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، لا حول للعبد ولا قوة إلا بربه، إلا بعون ربه وتوفيقه وتسديده سبحانه وتعالى، ولا تحوّل له من حال إلى حال، من مرض إلى صحة، من ضلال إلى هداية، من ضعف إلى قوة، من فقر إلى غنى، كل تحوّل لا يكون إلا بالله، «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» يعني: لا قوة للعبد يمارس بها أعماله ومصالحه الا بالله تبارك وتعالى ولهذا يجب أن نعلم أن كلمة «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» هي كلمة استعانة، هي تحقيق لقولك في الفاتحة، ﴿**إِيَّاكَ**

نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] أي: نطلب منك العون، كما أن قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾[الفاتحة:٥] تحقيق لـ «**لا إله إلا الله**»، فـ «**لاحول ولا قوة إلا بالله**» هذه كلمه طلب عَون من الله سبحانه وتعالى، ولهذا يُشرع قولها في استقبال الأعمال والمهام والمصالح الدينية والدنيوية كما سيأتي معنا في الذكر الذي يقال عندما يخرج المسلم من بيته؛ يشرع له أن يقول: " **بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**"، في أي مصلحة تخرج فيها من بيتك أو لها من بيتك، تقول: "**لا حول ولا قوة إلا بالله**" تطلب عون الله، سواء أكانت المصلحة دينية أو دنيوية، كل مرة تخرج من البيت من السنة أن تقول" **بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**" سواءً خرجت لتجارة، أو خرجت لزيارة أقارب أو صلاة أو غير ذلك تقول ذلك، تطلب عون الله على ما خرجت لأجله، وشُرع لنا إذا سمعنا المنادي ينادي للصلاة ولتحصيل أجرها: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" أن نقول: "**لا حول ولا قوة إلا بالله**" نطلب عون الله تبارك وتعالى هنا أيضا الحوقلة؛ الإتيان بها بهذا الموضع في غاية المناسبة؛ لأنك إذا شرعت بذكر الله حال استيقاظك من النوم مهللاً، ثم ذاكرًا الكلمات الأربع، بعد ذلك تُريد أن تنهض، تريد أن تنهض من فراشك للعبادة، للوضوء، للصلاة ومن ثم لمصالحك تريد أن تنهض، فنهضتك وقومتك من منامك تحتاج فيها إلى ماذا؟ تحتاج إلى استعانة بالله طلب عون، وإلا يبقى الإنسان كسولاً مائلًا للنوم مائلا للارتخاء، مائلا للبقاء على الفراش، فهو يحتاج إلى عون الله له لينهض، عون الله له ليعبد، عون الله له ليقوم بعبادك الله يحتاج إلى ذلك، ولهذا الإتيان بالحوقلة هُنا التي هي كلمة استعانة في غاية المناسبة تطلب بها عون الله سبحانه وتعالى.

«**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» أيضا تستشعر علوّه تبارك وتعالى وعظمته، وهذا يدفع بقلبك لقوة الارتباط به وكمال الالتجاء إليه وتعظيمه سبحانه وتعالى «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» هذا الأمر الثالث.

الأمر الرابع: «**ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا**» ،يعني: بعد الحوقلة؛ يأتي بأمر رابع وهو الاستغفار والدعاء، وقوله: « **ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا** » قيل: للشك، وقيل: وهو الأولى والأقرب والله أعلم أنها للتنويع، « **ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا** » يعني: سواء أستغفر، أو دعا، أيًّا كان منه؛ فإنه يُستجاب له، إن استغفر، غُفر له، وإن دعا بأن سأل الله تبارك وتعالى حاجة من حاجات، أو أمرا من أموره؛ أجاب الله دُعاءه، وحريّ في هذا الموضع، وفي هذا الوقت، وفي هذه الحالة المباركة؛ حال انتباه العبد من نومه على ذكر الله تبارك وتعالى، وإتيانه بهذه الكلمات الكِبار العظام التي أعظم الكلمات على الإطلاق؛ أنه إن استغفر غُفر له، وإن دعا أُستجيب دعاؤه، إذن هذا الأمر الرابع الذي يأتي به.

الأمر الأول أن يقول: «**لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

الأمر الثاني: أن يأتي بالكلمات الأربع «**الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

والأمر الثالث: أن يأتي بالحوقلة «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

الأمر الرابع: أن يستغفر ويدعو، يقول: «**استغفر الله**» أو يقول: "اللهم أغفر لي، وتب عليّ" أو بأي صيغة من صيغ الاستغفار المأثورة، أو يدعو: "**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**"، "**اللهم أصلح لي ديني**" أو أي دعاء من الأدعية الجامعة لخيري الدنيا والأخرة، فإنه إن استغفر؛ غُفر له، وإن دعا أُستجيب له. هذا الأمر الرابع.

الأمر الخامس: أن يبادر إلى الوضوء، أن يتوضأ، أن ينهض من فراشه بعد هذه الأمور الأربعة ويتوضأ، يتوضأ ليكون على طهارة؛ لأنه بنومه انتقضت طهارته، وقد عرفنا أنه يُستحب له أن ينام على طهارة، والطهارة تنتقض بالنوم، فيستحب له أن يقوم ويتطهّر، ويتوضأ، يتوضأ وضوؤه للصلاة هذا الأمر الخامس، قال: «**فإن توضأ**».

الأمر السادس: قال: «**وصَلَّى**»، «**فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» صلاة مسبوقة بهذه الأعمال الجليلة، والخصال العظيمة الكبيرة؛ حريّ أن تُقبل، ودعاء يأتي عقب هذه الأمور حريّ أن يُستجاب، واستغفار يأتي في هذا المقام حريّ أن يُقبل، قال: «**فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» فهذه أعمال تأتي على هذا الترتيب الذي جاء في هذا الحديث العظيم المبارك المخرّج في صحيح البخاري.

أولًا: يقول: «**لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

ثانيًا: يأتي بالكلمات الأربع: «**الحمد لله، وسبحان الله، لا إله إلا الله، والله أكبر**».

الأمر الثالث: يقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

الأمر الرابع: يستغفر ويدعو؛ اللهم اغفر لي، اللهم وفقني، اللهم آتني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، يدعو بما شاء، لم يُخص دعاء معين، يدعو بما شاء من جوامع الأدعية المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، يسأل الله مصالح دينه ودنياه هذا الأمر الرابع.

الأمر الخامس: يقوم ويتوضأ وضوؤه للصلاة.

الأمر السادس: يصلي.

فإنه بهذا يقوم على أكمل حال، وتكون هذه الأعمال القليلة اليسيرة التي لن تأخذ منه عشر دقائق تقريبا، أو ربع ساعة، تكون بركة له في يومه كله وسبب خير له، وباب قبول، وباب توفيق، وباب سداد له في يومه كله، بخلاف الآخر الذي لا يفعل هذه الأمور، وتأمل في ذلك ما جاء في الحديث الذي في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **إذا نام العبد، أتى الشَّيْطَانُ وعقد علَى قَافِيَةِ رَأْسِه**» «**قافية الرأس**» **يعني: مؤخرة الرأس**، «**عقد علَى قَافِيَةِ رَأْسِه ثَلَاثَ عُقَدٍ**» ماذا في هذه الثلاث العُقد؟ «**عقد علَى قَافِيَةِ رَأْسِه ثَلَاثَ عُقَدٍ فِي كُلِّ عُقْدَةٍ**» نفث أو قال: «**عَلَيْكَ نوم طَوِيلٌ فَارْقُدْ**» هذه مثقّلات للرأس يعقدها الشيطان على قافية رأس الإنسان، مؤخرة الرأس، «**وفي كل عقدة عليك ليلاً طويلة فارقد**» عقد مثقّلة لرأس الإنسان، قال عليه الصلاة والسلام: «**فَإذا أقام العبد من نومه فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإذا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإذا صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كلها**»، هذه كلها موجودة في الحديث، ذكر الله والوضوء والصلاة، فتنحل العقد كلها لا يبقى منها عقدة، قال: "**فتوضأ انحلت عقده كلها**"، تنحل العقد بالذكر العقدة الأولى، والثانية بالوضوء، والثالثة بالصلاة، قال: «**وإلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**». يعني: يأتي عليه يومه فهو في نفس خبيثة، ونفس كسولة، إذن لاحظ البركة التي تكون على يوم الإنسان كله من خلال هذه الربع ساعة، أو العشر الدقائق التي عند القومة من النوم، ولهذا هذا العمل الجليل المبارك ينبغي للإنسان أن يُعوّد نفسه عليه، وأن يحاول أن يمرّنها وأن يُدرّبها على هذا العمل بأنه بمجرد ما يقوم من النوم، يأتي بهذه الأعمال على هذا الترتيب المبارك الوارد في هذا الحديث العظيم المخرّج في صحيح البخاري.

أبو عبد الله الفربري راوي من رواة صحيح البخاري، أحد رواة صحيح البخاري، نقل عن الحافظ بن الحجر أنه قال: "**عوّدت نفسي على هذا الذكر وهذه الأعمال مجرد ما أقوم من النوم**". "**عودت نفسي عليه**"، يقول: "**فليلة من الليالي أتاني أتٍ في منامي، وقرأ قول الله تعالى:** ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤] وما من شك أن من يُهدى إلى هذه الأعمال والأذكار المباركة والأعمال الجليلة لا شك أنه هُدي إلى الطيب من القول وهُدي إلى صراط مستقيم، بل كانت

أعمال هذه؛ باب خير له وباب بركة له في حياته، فيجتهد المسلم ألا يحرم نفسه من هذا الخير العظيم والأعمال الجليلة التي وجّه إليها النبي عليه الصلاة والسلام.

أمّا إذا ترك هذه الأعمال فالعقد ماذا؟ العُقد تبقى على حالها، وأيضاً ليس هذا فحسب بل جاء في الصحيحين أن النبي عليه الصلاة والسلام ذُكِر له رجل نام حتى أصبح، يعني: ما قام لذكر الله، ولا قام للوضوء، ولا قام للصلاة، ما قام لهذه الأشياء، نام حتى أصبح، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» فإذن يستيقظ والعُقد كما هي على حالها لم تحل، وأيضاً يستيقظ وقد بال الشيطان في أذنه، ونقول: إن الشيطان يبول في أُذن من كانت هذه حاله حقيقة، ما يجوز لنا أن نؤول كلام النبي عليه الصلاة والسلام ونذهب ونُغرب في المعاني، ونقول: لعله يقصد كذا، نتكلف نقول: يبول كما قال عليه الصلاة والسلام وإن كنا لا نرى شيئا، أو من تحصل له هذه الحال لا يرى شيئا، لكنه النبي عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الشيطان يبول، فنقول كما يقول عليه الصلاة والسلام، نقول "إن الشيطان بال على أذنه" يبول بولًا حقيقيًا ، وهنا ينبغي على الإنسان أن ينظر؛ من الذي يرضى لنفسه أن يبال على أذنه؟! من الذي يرضى لنفسه بذلك؟! ومن الذي سيبول؟ شيطان خبيث، فمن الذي يرضى لنفسه أن يُبال على أذنه، والذي يبول على أذنه شيطان خبيث، من الذي يرضى لنفسه بهذه الخصلة؟ ما أحد يرضى لنفسه بمثل هذه الخصلة الذميمة، ومن ينام شاء أم أبي رضي لنفسه بذلك، من ينام حتى يصبح ويترك ذكر الله والوضوء والصلاة؛ فإنه شاء أم أبى رضي أن يبول الشيطان على أذنه، وهنا نُدرك معاشر الأخوة البركة العظيمة والخير العميم الذي يكتسبه المسلم بحفظه للأذكار، ومحافظته عليها، ومحافظته على سُنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وأن السنة خير وبركة للإنسان، خير له في نومته، وخير له في قومته، وخير له في حياته كلها، فما ينبغي للإنسان أن يحرم نفسه من مثل هذا الخير العظيم والفضل العميم، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمدنا جميعا بعونه وتوفيقه، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

(المتن)

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «مَن أوَى إلى فِراشِهِ طاهرًا وذكر اللهَ تعالى حتَّى يدركَهُ النُّعاسُ؛ لم ينقلِّبْ ساعةً من اللَّيلِ يسألُ اللهَ شيئًا من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ إلَّا أعطاهُ إيَّاه» أخرجه الترمذي وقال: "حديث حسن غريب".

(الشرح)

ثم أورد هذا الحديث، حديث أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**مَن أوَى إلى فِراشِهِ طاهرًا وذكر اللهَ تعالى حتَّى يدركَهُ النُّعاسُ؛ لم ينقلِّبْ ساعةً من اللَّيلِ يسألُ اللهَ شيئًا من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ إلَّا أعطاهُ إيَّاه**» هنا فيما يتعلق بالترجمة، فيما يقوله المستيقظ ليلا، المستيقظ ليلا لكي يستيقظ ليلا على ذكر الله تبارك وتعالى، وعلى سؤال الله من خير الدنيا والآخرة؛ يحتاج ذلك إلى مقدمات تسبق ذلك حتى يتهيأ له إذا استيقظ من الليل أن يستيقظ على ذكر، وعلى دعاء، وعلى سؤال، فيحتاج أمراً يسبق ذلك، ألا وهي الأمور التي تكون قبل النوم، فالأمور التي تكون قبل النوم، هي أمور نافعة في النوم نفسه، ونافعة في القومة منه، ولعلنا تلمّسنا أو رأينا شيئا من ذلك فيما مر علينا من فضائل متعلقة بأذكار النوم منها على سبيل المثال ما جاء في حديث البرّاء بن عازب؛ وفيه: «**إنْ متَّ متَّ علَى الفِطْرَةِ، وإنْ أصبحْتَ أصَبْتَ خيرًا**» فالأذكار التي تكون عند النوم هي بركة على الإنسان في نومه وفي قومته من نومته، متى يتهيأ للإنسان أن يقوم ذاكراً من نومه، وأن يقوم سائلا ربه تبارك وتعالى من خيري الدنيا والآخرة، إلا إذا كان إنسانًا ألف واعتاد ذكر الله تبارك وتعالى ونام على ذكر الله عز وجل، وهنا حديث أبي أُمامة فيه بيان لهذا المعنى وإشارة إليه، يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَن أوَى إلى فِراشِهِ طاهرًا**»

انظر البركات التي تتابع والعلماء يقولون رحمهم الله يقولون: "الحسنة تنادي أختها، تقول لها: تعالي"، الخير يجر بعضه، ينادي بعضه بعضًا، فتتوضأ لتنام، فالطهارة تُهيئك للذكر، الذكر يُهيئك لنوم مبارك، النوم المطمئن يهيئك لقومة على ذكر الله ودعائه، فالحسنات يُنادي بعضها بعضاً، تنادي الحسنة أختها تقول: "تعالي" فالحسنات ينادي بعضها بعضًا.

قال: «**مَن أوَى إلى فِراشِهِ طاهرًا**» أي: على طهارة، «**وذكر اللهَ تعالى**» يعني: اشتغل في فراشه بالذكر، ذكر الله تبارك وتعالى «**حتَّى يدركَهُ النُّعاسُ**» لم يتقلَّبْ ساعةً من اللَّيلِ يسألُ اللهَ شيئًا من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ إلَّا أعطاهُ إيَّاهُ. هنا ثمة فائدة مهمة وهي أنك إذا أتيت بأذكار النوم، وكثيراً ما يأتي مثل هذا السؤال، من يأتي بأذكار النوم، قد تنتهي الأذكار ولا زال لم ينم، فهل يظل بحكم أنه انتهي من الأذكار التي يحفظها، هل يظل ساكتا إلى أن ينام، أو الأولى به أن يستمر مشتغلاً بذكر الله تبارك وتعالى إلى أن ينام؟

قال: «**وذكر اللهَ تعالى حتَّى يدركَهُ النُّعاسُ**» بحيث تنام وأن تذكر الله، بحيث تدخل في نومك وأنت ذاكر لله تبارك وتعالى، فإذا انتهيت من الأذكار المقيّدة بالنوم، أمامك باب الذكر المطلق مفتوح، اذكر الله عز وجل مُسبحاً، حامدًا، مهللاً، مكبرًا، مستغفرًا، تاليًا ما تيسر من كلامه تبارك وتعالى إلى أن يأتيك النوم وأنت على ذكر الله تبارك وتعالى على ذكر الله، تنام ذكره عز وجل، فالذي ينام على هذا الحال؛ ينام على حال مباركة، على حال عظيمة جدًا، ينام على طمأنينة، هدوء نفس، سكون قلب، وذكر الله له بهذه الصفة، وعلى هذه الطريقة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام تستجلب طمأنينة النوم.

الآن وبخاصة في زماننا هذا، النوم يعد مُعَضلة ويُعدّ مشكلة، وكثير من الناس يرتاد المستشفيات النفسية والمصحّات يطلب علاج للنوم، يأتيه أرق شديد، يتعبن يتقلب على منامه مثل السمكة في المقلات، يريد نوماً ويطلب نومًا، بعضهم يصبح عليه الصباح وما أغمضت عيناه، ما نام، وفي الوقت نفسه تأتي والعياذ بالله من بعض الجهلة في المشتغلين بالأمراض النفسية ومعالجتها، يأتون بتوجيهات تزيد الأمر إشكالاً، ولا يوجّهونه إلى هذه الأذكار الصحيحة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، بعضهم يقول له: "أنت تحتاج عندما تنام إلى موسيقى هادئة" ويُحدّد له بعض الأطباء نوع الموسيقى، موسيقى هادئة تنام عليها، تشغّل هذه الموسيقى حتى تنام، فينوّمه طبيب على غفلة من ذكر الله وعلى معصية الله تبارك وتعالى، وبعضهم يوجه أيضاً إلى توجيهات أخرى يقول له: "اشغل نفسك عن الهموم بشيء تراه"، فيقول له: "اضطجع على جنبك، وليكن أمامك الشاشة، وانظر إليها متأملاً فيها، مستغرق النظر في المسلسل أو كذا، إلى أن تذهب بالنوم وأنت لا تشعر"، وهكذا تأتي توجيهات سقيمة لا تحل المشكلة بل تزيدها، ولا تُعالج البلاء بل تُضاعفه ويزداد المرض، وبعض الأطباء يُشغل هؤلاء إشغالًا شديداً غير مقبولاً بحبوب مهدئة أو منومة، هذا ليس هو العلاج، ولهذا يحتاج الإنسان أن ينظر إلى المشكلة من أساسها، وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: "**ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة**" فيتوب إلى الله، ويُقبل على الله، ويصلح حاله مع الله تبارك وتعالى، يتوب من ذنوبه التي أوبقته، وأرقته، وألحقت في قلبه الوحشة، وألحقت بقلبه القسوة، وكل ذلك لا يذهب عن الإنسان إلا بذكر الله تبارك وتعالى، ولهذا جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله وقال: "أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: أذبها بذكر الله تبارك وتعالى" فذكر الله تبارك وتعالى هو الفرج بعد الشدة، وهو اليسر بعد العسر، وهو زوال الهموم وكشف الغموم، وطمأنينة النفوس، والله تعالى يقول: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[الرعد:٢٨]، أين الطبيب الذي إذا جاءه مريض قلق، قال له ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبداً هم ولا حزن، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ،**

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وغمّي، قال عليه الصلاة والسلام إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله فرحاً»، وفي رواية «**وأبدله فرجًا**» الفرح والفرج بذكر الله سبحانه وتعالى، والعودة الصادقة إلى الله، من هو الطبيب الذي يُعلّم الناس هذا الذكر وهذا الدعاء العظيم، ويشرح لهم معناه، ويُبيّن لهم مضامينه؛ لأن أثر الدعوات المأثورة على الناس بتحقيق مضامينها، وعقل مدلولها، فمن هو الذي ينبه على ذلك، ويرشد إلى ذلك حتى تستقيم أحوال الناس، وتُعالج هذه المشكلة، النوم تعد مُضلة في هذا الزمان، ومن المشكلات الكبيرة، وتُعقد دراسات وندوات مُطوّلة جدًا لمعالجة مشكلة الأرق، وقليلًا ما هم الذين يعودون بالناس إلى السنة الصحيحة، ويعودون بالناس إلى الطهارة، إلى الذكر، إلى الصلاة، إلى عبادة الله تبارك وتعالى، إلى ترك المنكرات، واجتناب المعاصي والذنوب التي توبق الناس وتهلكهم في دنياهم وأخراهم.

قال: «**لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**» وهذا فيه فائدة عظيمة وهي أن ذكر الله عز وجل على طهارة عند النوم؛ من أسباب ماذا؟ من أسباب إجابة الدعاء، من أسباب إجابة الدعاء أن تنام على طهارة ذاكراً لله، فإنك في أي ساعة تنقلب من النوم تسأل الله حاجة من حاجتك إلا أعطاك الله إياها.

(المتن)

«وعن عَائِشَةَ، رضى الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» خرجه أبو داود.

(الشرح)

ثم أورد المصنّف هذا الحديث؛ حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**» هذا الذي ورد في هذا الحديث، حديث عائشة مشتمل على التهليل، وعلى التسبيح، وعلى الاستغفار، وعلى جُملة من الدعوات النافعة التي هي مأثورة في الجملة في نصوص الشرع، مثل: سؤال الله العلم، وعدم إزاغة القلب، وأن يهب له الرحمة؛ هذه دعوات عظيمة مأثورة في الجملة، لكن الحديث في هذا الموضع أنه كان إذا استيقظ من الليل قال ذلك هذا لم يثبت عن النبي ﷺ كما نبه على ذلك المحقق قال: فيه عبد الله بن الوليد، قال عنه الدارقطني: "**لا يُعتبر به**" فالحديث ضعيف، لكن إذا تأملت التهليل الذي في أوله "**لا إله إلا أنت**" وارد في الحديث المتقدم؛ حديث عبادة بن الصامت، أيضا التسبيح وارد في حديث عبادة بن الصامت، الاستغفار أيضا وارد في حديث عبادة بن الصامت، ثم الدعاء في حديث عبادة بن الصامت قال: "**أو دعا**" ولم يعين دُعاءً، ما جاء في حديث بن عبادة بن الصامت يُغني عن هذا الحديث؛ فنستمسك ونحافظ على حديث عبادة بن الصامت بالأمور التي جاءت فيه على الترتيب الذي جاء فيه، والحديث في صحيح البخاري، فهو يغنينا عما جاء في هذا الحديث الضعيف وجميع المعاني الموجودة فيه ليس فيها شيء زائد عن هذا الحديث، التهليل موجود، والتسبيح موجود، والاستغفار موجود، والدعاء من حيث الجملة أيضا موجود، فتأتي بحديث عبادة بن الصامت؛ تُهلّل، تأتي بالكلمات الأربع، تُحوقل "**لاحول ولا قوة إلا بالله**" تستغفر وتدعو، تتوضأ وتصلي، وينبغي حقيقةً أن نعوّد أنفسنا على هذا الذكر العظيم المبارك، ولعلنا من هذا الساعة نعقد العزم، كل واحد منّا يعقد العزم بينه وبين نفسه أن يعوّد نفسه اعتبارا من الليلة التي نستقبلها، يعوّد نفسه اعتبارًا من هذه

الليلة أن يبدأ، فإذا كان لم يكن يفعل ذلك يبدأ، ومن كان يفعل ذلك يحمد الله على ما يسره له من محافظة، ويسأله المزيد من توفيقه وعونه ومدّه ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا جميعا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

(المتن)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدُكم فلْيَقُلْ : الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وعافانِي في جَسَدِي».

(الشرح)

ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا أستيقظ أحدُكم فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وعافانِي في جَسَدِي**» هو له زيادة، الحديث سبق أن مرّ معنا فيما يُقال عند المنام، قال وفي لفظ «**إذا استيقظ أحدُكم فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الذي عافانِي في جَسَدِي ورَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وأذن لي بذكره**».

قال عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا أستيقظ أحدُكم فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وعافانِي في جَسَدِي**» هذه صيغة حمد مباركة يستحب للمسلم أن يقولها إذا استيقظ من النوم، إذا استيقظ من النوم يحمد الله بهذه الصيغة يقول: «**الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي**» وهذا فيه أن روح الإنسان تُقبض في المنام، ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى**﴾[الزمر:٤٢] قوله: ﴿**وَيُرْسِلُ الأُخْرَى**﴾ هنا يقول: «**الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِ** »، يعني: أرسلها وأعادها إليّ، «**الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي**» يعني: أعاد إليّ روحي، وأعطاني فسحة في العمر بعد هذه الموتة الذي حصلت لي؛ موتة النوم، والنوم موت «**الحمدُ للهِ الذي أحياني بعد ما أماتني**» مرّ معنا «**الحمدُ للهِ الذي أحياني بعد ما أماتني**» تلك صيغة، وهذه أيضاً صيغة مشروعة «**الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي**» نظيرها قولك في الحديث الآخر «**الحمدُ للهِ الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور**».

قال: «**الحمدُ للهِ الذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وعافانِي في جَسَدِي**» أي: كتب لي في جسدي المعافاة، بحيث أنني قمت من منامي وجسدي معافى، معافى من مرض معافى من سقم، معافى من هوام تؤذي الإنسان من فراشه، فيحمد الله عزّ وجلّ على العافية قال: «**وعافانِي في جَسَدِي، وأذن لي بذكره**» وقد مرّت الزيادة متقدمة «**وأذن لي بذكره**» والمراد "بالإذن" هنا: الإذن الكوني القدري؛ لأن الإذن تارة يراد به الإذن الشرعي، ﴿**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**﴾ [يونس:٥٩] يعني: هل الله شرع لكم ذلك؟ وتارة يراد به الإذن الكوني، والمراد بقوله: «**وأذن لي بذكره**» أي: قدّر لي، وكتب لي كونًا وقدراً أن أقوم ذاكراً له، فهذا أمر أذن لي به، يعني: كوناً وقدراً، وإلا شرعاً وديناً، الأذن للكل، والأمر بهذه الأذكار للجميع، والدعوة في ذلك للجميع، فقوله: «**وأذن لي بذكره**» أي: قدّر وكتب لي ذلك كوناً وقدراً فمنّ عليّ أن أُصبح ذاكراً له، وهذه نعمة عظيمة ومنّة كبيرة من الله تبارك وتعالى على عبده.

(المتن)

ويُذكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أمرنا قال رسول الله ﷺ أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة».

(الشرح)

ثم أورد المصنف هذا الحديث قال: "**ويُذكر**" وهذه تستعمل غالباً لبيان الضعف، تسمى صيغة التمريض، أن الحديث أو الأثر الذي قُدم له بهذه الصيغة "يُذكر" أو "يُروى" أو نحو ذلك؛ إشارة إلى ضعفه، فهذا الأثر أو الحديث عن أنس قال أنس بن مالك: «**أمرنا أن رسول الله ﷺ أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة**» فهذا الحديث لم يثبت، أما الاستغفار بالأسحار فثابت في القرآن

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] وقال تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨] فالاستغفار بالأسحار ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، أما أن تعدّ سبعين استغفارا بموجب هذا الحديث؛ فهذا أمر لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن لك أن تستغفر، وأنت تكثر من الاستغفار في الأسحار؛ لأن هذا وقت للاستغفار كما دل على ذلك كتاب الله عز وجل.

(المتن)

فصل: فيما يقوله من يفزع ويقلق في منامه.

عن بريدة قال: «شكى خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السبع وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ إِلا أَنْتَ». خرجه الترمذي.

(الشرح)

ثم عقد المصنف رحمه الله هذا الفصل بعنوان: فيما يقوله من يفزع ويقلق في منامه. هذا الفصل ليس لكل أحد، وإنما لمن يبتلى في منامه بقلق أو فزع، وهذه الحالات تنتاب بعض الناس فيفزع في منامه، أو يقلق في منامه، أو أيضاً يحصل له ما يسمى في وقتنا الحاضر "كوابيس" يقول: "كوابيس في النوم" مثل هذه الأشياء: القلق والفزع والمقلقات في المنام، أحياناً بعض الناس يعني: يقوم من منامه على هيئة هلعة جداً، على هيئة في هلع وفي خوف شديدة جداً من أشياء تحصل له في المنام وهي كلها من الشياطين، والله عز وجل قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] فالشيطان يأتي للإنسان في منامه ويبدأ يفتح له من الأبواب والأفكار والوساوس حتى يُدخل عليه خوفاً شديداً، يوهمه أنه سقط في بئر أو أنه دخل في نار، أو أنه تقدم إليه سبع ليأكله، أو إلى أخره، يورد له في منامه أمثال هذه الأشياء فيبقى خائفاً وفزعاً وقلقاً ويقوم مرات من منامه يظن أنه مدجج بالدماء، ثم يستيقظ إذا وبه سليماً معافاً، ثم يعود للمنام مرة ثانية، وتصبح حاله على فراشه بهذه الصفة، فبعض الناس يبتلى بمثل هذه الأشياء، نسأل الله للجميع العافية والسلامة، بعض الناس قد يُبتلى بهذه الأشياء فما الحل؟ ما العلاج؟ السنة فيها علاج لمثل هذه الأشياء إذا أُبتلي الإنسان بفزع أو بقلق في منامه السنة فيها علاج مبارك ودواء ناجع وشفاء عظيم لمن يبتلى بهذا الأشياء.

أورد المصنف أولاً عن بريدة قال: «**شكى خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ما أنام الليل من الأرق، فقال النبي ﷺ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السبع وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**» أخرجه الترمذي. لكن نبّه المحقق أن الحديث سنده ضعيف قال: "فالحديث ضعيف السند جدا" وبيّن العلّة في الحديث، فهذا الحديث الذي لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام يُترك العمل به، ويُعمل بالثابت وسيأتي معنا، يُعمل بالثابت في علاج الأرق، وسيأتي معنا.

وهُنا قال: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ**» ومن أوى إلى فراشه في الثابت عن النبي ﷺ من الأذكار، وسؤال الله الحفظ، وقراءة آية الكرسي، والمعوذات، إلى آخره، ما يُغني عن قراءة هذا الحديث الذي لم يثبت، لو ثبت لعُمل به، في الأذكار الثابتة مثل قراءة آية الكرسي؛ لا يزال عليك من الله حافظاً، ومثل الإخلاص، والمعوذتين، والمسح على البدن، والدعوات الأخرى الثابتة عن النبي عليه

الصلاة والسلام يُعمل بها وفيها غُنية وفيها كفاية، إذا أوى إلى فراشه، لكن حالة الفزع؛ إذا حصل للإنسان فزع في منامه وقلق ما الذي يقول؟ هذا ما سيأتي بيانه في الحديث الأخر، ثم سيأتي معنا أن هذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السبع وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، وربّ الرياح وما ذرين**» سيأتي معنا في موضع قادم أنه يُستحب لك أن تقوله إذا دخلت مدينة أو قرية، إذا دخلت مدينة أو قرية يُستحب لك أن تقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ**» يعني: وكل ما تحتها، «**وَرَبَّ الأَرَضِينَ السبع وَمَا أَقَلَّتْ**» يعني: وكل ما تحمله، كل ما فوقها، «**وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ**» من الإضلال وهو الصدّ عن سواء السبيل، «**وربّ الرياح وما ذرين**» وما تذروه الرياح، يعني: تسفه الرياح، «**أسألك خير هذه البلدة، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّ هذه البلدة وشر ما فيها**» هذا ورد وسيأتي عند المصنف في موضعه إن شاء الله.

على كل حال هذا الدعاء لم يثبت، الذي ورد في هذا الحديث، حديث بريدة أن خالد رضي الله عنه شكى؛ هذا لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام كما نبّه وبيّن ذلك المحقق، وفي الثابت غُنية وكفاية.

(المتن)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن رسول الله ﷺ كان يُعلّمهم من الفزع كلمات "أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» قال: وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل فعالقه عليه. خرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

(الشرح)

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « **أن رسول الله ﷺ كان يُعلّمهم من الفزع كلمات**» يعني: كلمات تُقال عند الفزع متى حصل الفزع والقلق والاضطراب؛ يقول هذه الكلمات، أو هذه التعويذات المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام «**قال: كان يُعلّمهم من الفزع كلمات**» أي: كلمات تُقال عند الفزع ما هي؟ «**قال: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» في بعض روايات الحديث «**من غضبه وعقابه**» «**أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يُحضرون**» وجاء في بعض الروايات أنه «**لم تضرّه**» أي: الشياطين، والحديث ثابت بمجموع طرقه، الحديث جاء من طرق عديدة، ثابت بمجموعها وهو مشروع أن يقوله المسلم عندما يحصل له فزع، وجاء في بعض طرق الحديث أن بعض الصحابة شكى إلى النبي عليه الصلاة والسلام فزعاً يحصل له، فأرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا التعوّذ العظيم المبارك، فهو تعوّذ ثابت عن النبي عليه صلوات الله وسلامه بمجموع طرقه.

ماذا يقول عند الفزع؟ «**قال: يقول: أعوذ بكلمات الله التامات**» "**أعوذ**" الاستعادة التجاء إلى الله واحتماء به سبحانه وتعالى، وفزعًا إليه، وقوله: «**بكلمات الله التامات**» قيل المراد «**بكلمات الله**» (**القرآن**)، وقيل: «**كلماته**» أي: "الكونية القدرية" ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢] ومعنى: «**التامات**» أي: التي لا يلحقها نقص، في القرآن قال الله تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فصلت:٤٢] وكلماته الكونية قال: ﴿**لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ [الرعد:٤١] فكلمات الله تامة لا يلحقها نقص، قال: «**أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه**» «**من غضبه**» أي: من غضب الرب سبحانه وتعالى، غضب الرب، والرب —سبحانه وتعالى كما أخبر عن نفسه في كتابه، وكما أخبر عنه رسولُهُ، يغضبُ ويرضى ﴿**وَغَضِبَ**

﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] في القرآن، وفي القرآن أيضًا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] فهو يغضب ويرضى ويسخط ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٨٠] ويمقت، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [غافر:٣٥] هذه كلها صفات له سبحانه وتعالى، صفات فعلية، أخبر بها عن نفسه سبحانه، وأخبر عنه بها رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وجادة السلف رحمهم الله، وطريقتهم في هذا الباب، باب الصفات، أن صفات الله يمرونها كما جاءت، ويؤمنون بها كما وردت، ولا يخوضون فيها بالتأويلات الباطلة التي يفعلها أرباب البدع ما يقولون ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] أي: أراد أن يعذبهم، ولا يقولون أيضًا ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] أي: عاقبهم، بل يقولون ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] أي: غضب عليهم، فالغضب معروف معناه، فيمرونها كما جاءت، ويؤمنون بها كما وردت، ولهذا كما قلت جاء في بعض طرق الحديث الجمعُ بين الصفة وأثرها قال: «**من غضبه وعقابه**» ، وهذا الجمع بين الصفة وأثرها رد على المؤولة الذين يؤولون الصفة بأثرها، ويجعلون معنى الصفة أي: أثرها، يقولون ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] أي: عاقبهم، فماذا يقولون هنا في هذا الحديث؟ لأن في الحديث هنا قال: «**من غضبه**» وماذا؟ «**وعقابه** » فإذا قالوا: «**من غضبه**» أي: عقابه، يكون ماذا الكلام؟ مكرر، «**من غضبه وعقابه**»، إذا كان معنى الغضب أي: العقاب فيكون الكلام تكرر، فالشاهد أن قولَه في الحديث: «**من غضبه وعقابه**» فيه رد على المؤولة الذين يؤولون الصفات، ويفسرون الصفة بلازمها أو بأثرها، وهذا تأويل باطل وانحراف عن الجادّة الذي كان عليه السلف رحمهم الله، فالمسلم يمرّ الصفات كما جاءت، ويؤمن بها كما وردت، هذه هي الجادة المستقيمة التي كان عليها أئمة السلف رحمهم الله، قال: «**من غضبه وعقابه**» يعني: أعوذ به من غضبه ومن عقابه، فيتعوّذ الإنسان بالله من الغضب، يعني: من الأمور التي توجب غضب الله سبحانه وتعالى وحلول عقابه على عبده، وهذا فيه إشارة وتنبيه إلى البعد عن المعاصي والذنوب، وأيضًا فيه تنبيه وإشارة إلى أن الذنوب والمعاصي أعظم أسباب القلق؛ لأنه إذا وجدت الذنوب؛ وُجد الغضب، ووجد العقاب، ومن العقوبات المعجّلة؛ القلق والفزع والهموم ونحو ذلك من الأمور التي هي نوع من العقوبة، فيبدأ الإنسان يتعوّذ بالله من غضبه ومن عقابه، وهذا يتضمن البعد عن موجبات الغضب وموجبات العقاب وهي الذنوب التي تسخط الله تبارك وتعالى وتوجب حلول العقوبة ونزولها.

قال: «**من غضبه وعقابه وشر عباده**» يعني: أعوذ بك يا الله من شر كل من قام به شر من عبادك، ليس معناه أن كل عبد فيه شر، بل المراد من قوله: «**من شر عباده**» أي: من شر كل من قام به شر من العباد، وما المراد "بالعباد" هنا؟ وقال: «**من شر عباده**» هل المراد بالعباد هنا: عباد الألوهية، عباد الطاعة لله، هل هذا المراد؟ أو المراد عموم العباد؟ لأن عباد الله، وعبد الله، هذه قد يراد بها العبودية لربوبية الله، وهذه تشمل المخلوقات كلها ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] ويراد بها: العبودية ألوهيته يعني: طاعة الله وامتثال أمره في مثل قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] فالشاهد أن العبودية لله عزّ وجلّ عبودية لألوهيته وعبودية لربوبيته، والمراد بالعبودية هنا ماذا؟ العبودية العامة لربوبية الله، «**وشر عباده**» يعني: من كل شر قام به شر من عباده، فيشمل الشياطين، والجن، والعصاة، وغيرهم، كلهم عباد لله؛ لأنهم مخلوقون له، عباد الله أي: مخلوقون له، وتحت تدبيره وتصرفه سبحانه وتعالى، «**وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» من همزات الشياطين أي: نفخ الشيطان ونفثه ووساوسه، وما يُلقيه في النفس، وهنا في أيضا إشارة إلى القلق، وأعظم مداخله على النفس من الشيطان، يُدخل الإنسان في نفس الإنسان أشياء وأمور حتى يملأ جوفه قلقلاً وفزعًا وهلعًا، قال: «**ومن همزات الشياطين**» يعني: أعوذ بك يا الله من همزات الشياطين «**وأن يحضرون**» أي: وأن يقربوا المكان الذي أنا فيه مثل ما في قوله تعالى في آخر أواخر سورة المؤمنون ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون:٩٧ ٩٨] فاشتمل هذا

التعوذ على أمرين؛ تعوّذ بالله تبارك وتعالى من همز الشيطان، وتعوذ بالله تبارك وتعالى من أن يقرب الشيطان المكان الذي أنت فيه، فأنت تتعوذ بالله تبارك وتعالى من همز الشيطان أي: ووساوسه وما يلقيه في النفوس وتتعوذ أيضا بالله تبارك وتعالى من أن يقرب الشيطان المكان الذي أنت، فلا يكون منه همز، ولا يكون منه قربان للمكان الذي أنت فيه، فهَو تعوذ عظيم مبارك يُشرع لمن أصابه قلق أو هلع أو فزع أو اضطراب في منامه؛ أن يأتي بهذا التعوذ « **أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرو**ن».

"قال وكان عبد الله بن عمرو" أي: ابن العاص رضي الله عنهما؛ "يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل فأعلقه عليه " "كان يعلمهن بنيه" يعني: يحفظها من يعقل من بنيه، يُلقّنها له، وهذا أمر مشروع، مشروع لكل واحد منّا أن يُلقّن ابنه الأذكار، وإذا كان ابنك يعني يصيبه في منامه شيء من الخوف، حفّظه هذا الدعاء، قل له: قل يا بني متى ما أصابك خوف في منامك كذا، وكرره عليه حتى يحفظه. فيقول: و"**كان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل فأعلقه عليه**"، يعني: كتبه في لوحاً فأعلقه عليه **أولاً**: هذا الذي عن عبد الله بن عمرو إسناده إليه ضعيف، لم يثبت هذا أولا، لم يثبت عن ابن عمرو رضي الله عنهما الإسناد إليه لم يثبت.

ثانيا: على فرض ثبوته، قال العُلماء: المراد بفعل ابن عمرو رضي الله عنهما أنه يعلّقه عليه حتى يبقى في لوحاً أمامه بحيث يقرأه إلى أن يحفظه، مثل ما الألواح التي يُكتب فيها القرآن من أجل الحفظ، من أجل أن يحفظها، بحيث إذا تم حفظ هذا اللوح مُحي وكتب له بدله أمر آخر، فيعلق عليه حتى يكون معه؛ ليحفظه، لا على أنه تميمة.

ومن يستدل بهذا الفعل على مشروعية تعليق التمائم من القرآن ومن الدعوات المأثورة؛ لا حجّة له فيه من جهتين؛ الجهة الأولى؛ أنه لم يثبت سنده لابن عمرو هذا الأمر الأول، والجهة الثانية أن احتمالاً كبيراً أن ابن عمرو رضي الله عنهما فعل ذلك من أجل ماذا؟ فعل ذلك من أجل أن يحفظ ولده هذا الدعاء، مثل ما يكتب الواحد لابنه آيات من القرآن يحفظها في لوح، ثم إذا تم حفظه لها، محاها وكتب له آيات أخرى، فهو كتب له يكتبها لأبنائه، يعني: من لا يتيسر له منهم أن يحفظها، يكتبها له في لوح، ويعلقها عليه حتى تكون معه، يكررها يكررها حتى يحفظها إلى أن تُحفظ، ثم يستغنى عن اللوح، إما أن يعلق آيات من القرآن توضع في خرقة أو في جلد أو دعوات مأثورة عن النبي تُعلق في جلد ويعلقها الإنسان على بدنه فهذا الصحيح أنه لا يجوز، الصحيح أنه لا يجوز لأسباب كثيرة ذكرها العلماء منها:

بعدًا عن امتهان القرآن الكريم.

وثانيًا: لعموم الأدلة المانعة من تعليق التمائم، «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**».

ثالثا: لأن هذا فيه وسيلة للشرك والوقوع في الباطل.

رابعًا: لأن الذي شُرع لنا في هذا الباب؛ الرقية مباشرة؛ أن تقرأ وتنفث على نفسك بالقرآن، وتباشر الذكر والدعاء، لا أن تعلق شيئا وتتعلق به، «**ومن تعلق شيئا وكل إليه**».

فالشاهد أن هذا لا دليل فيه لمن أجازَ تعليق التمائم واحتج به، فهو لا حجة فيه، لأمرين، الأمر الأول: أنه لم يثبت، والامر الثاني على فرض ثبوته؛ فإن المراد به: تعليق هذه الأشياء من أجل أن تُحفظ لمرحلة مؤقتة، ثم يُستغنى عنها بعد ذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.